

مدرسة الإحياء والبعث

تعريفها : اسم يطلق على الحركة الشعرية التي ظهرت في مصر في أوائل العصر الحديث، والتزم فيها الشعراء بنظم الشعر العربي على النهج الذي كان عليه في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. ويعد رائد هذه المدرسة محمود سامي البارودي ومن أشهر شعراء هذا النهج: أحمد شوقي أمير الشعراء وحافظ إبراهيم شاعر النيل وأحمد محرم وعلي الجارم وغيرهم الكثير. والمقصود بهذا الاسم أنه كما تعود المروح لجسد ميت، فتد له الحياة بعد أن فارقت، فيبعث إلى الدنيا من جديد، كما هو الحال بالنسبة للشعر العربي، الذي استسلم إلى حالة من الجمود، أخذ علي إثرها في الضعف والاضمحلال منذ سقوط بغداد سنة 1258 في أيدي التتار الذين قضوا علي الخلافة العباسية وخربوا بغداد وهدموا دور العلم، وألقوا بألاف المخطوطات التي تضم الثقافة العربية وتحوي تراثها في النهر.

العوامل التي ساعدت على ظهورها

- التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي
- الالتقاء بالغرب .
- نشوء الوعي الوطني .
- بروز تيارات فكرية كالحركات الإصلاحية .
- وجود الصحافة و إحياء التراث والترجمة .

سمات المدرسة

حافظ شعراء هذه المدرسة على نهج الشعر العربي القديم في بناء القصيدة؛ فتتقيدوا بالبحور الشعرية المعروفة، والتزموا القافية الواحدة في كل قصيدة. وتابعوا خطى الشعراء القدماء في ما نظموا من الأغراض الشعرية، فنظموا مثلهم في المديح والثناء والغزل والوصف. كما جاروا في بعض قصائدهم طريقة الشعر العربي القديم في افتتاح القصيدة بالغزل التقليدي، والبكاء على الأطلال ثم ينتقلون إلى الأغراض التقليدية نفسها من مدح أو رثاء ونحوهما. كما أقدموا على استعمال الألفاظ على نوال القدماء وعنايتهم الواضحة في مجال التعبير بالجزالة والمتانة والصحة اللغوية فجاءت بعضها غريبة على عصرهم ، وأقدم كثير منهم على مناظرة روائع الشعر العربي القديم، وقلدوها بقصائد مماثلة وزناً وقافية أو موضوعاً وكانت تسمى هذه بالمعارضة على نحو ما فعل شوقي في قصيدة نهج البردة التي عارض بها قصيدة البردة للإمام البوصيري.

هجروا كثيراً من الأغراض الشعرية التي كانت تسود في العصر العثماني كالألغاز والتأريخ الشعري ، وشعر التصوف ، وقلّ عندهم الهجاء والفخر ؛ لأنها لم تعد تناسب الظروف الاجتماعية ، والسياسية في

العصر الحديث ، ورغم كل ما قدموه من تقليد وانتهاج لما هو قديم إلا أنهم استحدثوا أغراضاً شعرية جديدة لم تكن معروفة من قبل في الشعر العربي ، كالشعر الوطني ، والشعر الاجتماعي ، والقصص المسرحي ، ونظموا الشعر في المناسبات الوطنية والسياسية والاجتماعية ، واعتمدوا في نظمهم على الأسلوب الخطابي الذي يلائم المحافل . وكان شعرهم في مجمله هادفاً ، جاداً في معناه ، تنتشر الحكمة والموعظة بين ثناياه - وقد كان في شعرهم اهتمام بالرؤية الإصلاحية الاجتماعية والسياسية إلى جانب المجال الأدبي الوجداني بأغراضه المتعددة

محمود سامي البارودي

ان البارودي أنقذ الشعر العربي الحديث من عثرة الأساليب الركيكة ومرحلة التدهور ، فرد الحياة والروح إليه وجعله متنفساً حقيقياً لعواطفه ومشاعره أمته . وقد قام مذهبه الفني على نهج قدامى الشعراء في عصور الازدهار ؛ من حيث صياغة الألفاظ والمعاني .

العوامل المؤثرة في شعر البارودي

- . عنصره الشركسي الذي أورثه الطموح الواسع والمزاج الحاد والميل إلى حياة الفروسية والبطولة.
- . قراءته في الشعر العربي القديم ، وقد كان لذلك أثر كبير .
- . قراءته في الآداب التركية والفارسية والإنجليزية.
- . الشيخ حسين المرصفي وكتابه (الوسيلة الأدبية)

حياته

ولد محمود سامي البارودي عام 1838م بمصر وتوفي فيها عام 1904م لأبوين من الشركس ، وكان أبوه حسن حسين بك البارودي من أمراء المدفعية ثم صار مديراً لـ (بربر) و (دنقلة) في عهد محمد علي باشا والي مصر ، وكان جده لأبيه عبد الله بك الجرسكي كشافاً في عهد محمد علي مأموراً وكان أحد أجداد الشاعر مراد بن يوسف شاويش ملتزماً في العصر العثماني لبلدة (آيتاي البارود) إحدى بلاد محافظة البحيرة ، ومن ثم لقب البارودي نسبة إليها وحمل أبناؤه هذا اللقب.

وكان أجداده يرقون بنسبهم إلى المماليك حكام مصر وكان الشاعر شديد الاعتزاز بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله ، الذي كان له فيه اثر قوي في جميع أدوار حياته وفي المصير الذي انتهى إليه . مات أبوه وهو في السابعة من عمره تلقى دروسه الأولى في البيت حتى بلغ الثانية عشرة ، ثم التحق في المدرسة الحربية وتخرج فيها عام 1845م وهو في السادسة عشرة من عمره ، ولسوء حظ الأدب وسوء حظه أن ولاية مصر قد آلت آنذاك إلى عباس الأول ثم إلى سعيد وكان عباس قد عدل عن خطة محمد علي حين رأى الدولة العثمانية تنظر إلى الجيش المصري بعين الريبة والقلق لذا تعطلت النهضة التي كانت متصلة بالجيش في الصناعة والتعليم . وبعد (مؤتمر لندن) أصبح الجيش المصري مقصوص الأجنحة فلا يستطيع نهوضاً ، فكر البارودي

بان يترك الجيش بل يترك الوطن ويذهب إلى الأستانة حاضرة الدولة الكبرى، لعلها تحقق له من المجد ما لم يحققه له الجيش ، فالتحق بوزارة الخارجية ، وفرحت ربة الشعر بهذا الجو الجديد الذي سيتيح له أن يدعم صلته بالأدب التركية ، وكان قد ثقف منها شيئاً في المدرسة الحربية فإذا به يصحب الأتراك ويصحب أدباءهم في حياته الأدبية، فكتب شعراً ونثراً باللغة التركية.

على أن قد عقدت ملكته صلة بينه وبين الأدب الفارسية فتعلم آدابها وأتقنها ، ثم اخذ ينظم فيها مثلاً ينظم في اللغة التركية ، وكأنما أرادت هذه الملكة أن تهيء له الأسباب التي هيأتها للشعراء الفحول في أوائل العصر العباسي الذين قد بعثوا الشعر العربي بعثاً جديداً ، فلم يترك ديواناً لشعراء العرب الكبار ألا قرأه ، حفظ من هذه الدواوين الكثير ، وملا حقائبه بتحفيها النفيسة ، يساعده طائفة من النساخ

كانت إقامة البارودي في الأستانة نعمة على شاعريته الخصبة ، بما أستوعبه من الآداب التركية والفارسية والأدب العربي وبينما كان شاعرنا يفكر بالعودة إلى مصر ، إذا بالخدوي إسماعيل يزور الأستانة ليشكر السلطان على تنصيبه واليا على مصر فالتحق البارودي بحاشية الوالي وعاد إلى مصر

وبذلك يختم البارودي الدورة الأولى من حياته ، ولم يلبث بعد وصوله مصر أن رقي إلى رتبة مقدم ثم عين قائدا لفرقتين من فرق الفرسان ، وسرعان ما أوفد إلى فرنسا مع فرقة من الضباط ليشاهدوا الاستعراض العسكري السنوي للجيش الفرنسي ، وعبر بحر المانش مع فرقة من الضباط إلى إنكلترا ليشاهدوا بعض من الأعمال العسكرية والآلات الحربية ، وفي أثناء ذلك يجول بصره في المناظر الطبيعية المبتوثة في البلدين.

اندلعت ثورة ضد الدولة العثمانية في جزيرة (كريت) عام (1866م) وقرر البارودي أن يمدّها بفرقة مصرية ، توجه البارودي مع الفرقة وأبلى في حرب الثوار بلاء حسناً ، وكافاته الدولة ببعض الأوسمة ، وفي هذه الحرب نظم نونيته المشهورة:

أَحَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ وَهَفَا السُّرَى بِأَعْنَةِ الْفِرْسَانِ

وفي الحرب الروسية التركية (كان البارودي من خير من رموا عن هذه القوس) ، وتضطرب أمور البلاد اضطراباً انتهى بمجيء الخديوي توفيق بدلاً عن أبيه إسماعيل ، وتسقط وزارة وتحل مكانها أخرى ، ويتنقل البارودي بين وزارتي الأوقاف والحربية ثم يثور الجيش بقيادة احمد عرابي يشاركه البارودي ومجموعة من الضباط الوطنيين وفي عام 1882م نفي إلى جزيرة (سرنديب) مع مجموعة من رفاقه الثوار اطل شاعرنا على ساحل مصر ليلقي عليه نظرة الوداع ، وما تكاد الباخرة تغادر ارض النيل حتى ترتفع عواطف الشاعر الدافقة لتتحول إلى مشهد حزين ينتهي آلي تجربة صادقة تجسدها قصيدته النونية التي يبدوها بقوله :

ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري أن يعود فعزّني وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
وما هي إلا خطرة ثم أقلعت بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن

الشعر السياسي

من الأغراض القديمة التي خلع عليها البارودي لباس الجدة ولامستها بواذر التجديد ، وظهرت فيها شخصيه واضحة جلية تعبر عن نفسه الأبية المتمرد على الظلم و الاستبداد ، يدعو شاعرنا إلى حب العدالة والشورى والمساواة بين الناس في شعره السياسي مما دفعه إلى

أن يحتل مركز الصدارة بين أبناء شعبه وأمتة واصبح زعيما وطنيا محبوبا لذلك زج به في غياهب السجن ، وابتعد عن وطنه ولكنه لم يكف عن هذا الشعر الوطني والسياسي على الرغم مما لقيه من نفي وتشريد ومرض ، وظل هذا الشعر يحرق الطغاة المتجبرين ، لذلك طالت مدة نفيه عن دياره ولم يسمح له الحكام بالعودة إلى وطنه إلا أن دب إلى جسمه دبيب الفناء وأصابه الضعف والهزال وفقـد بصره .

يبدو البارودي في قصائده السياسية محباً للحرية متمرداً على الظلم شأنه شأن كل رجل شجاع يدافع عن وطنه ، ولعل للورثة والنشأة التي نشأها أثراً في هذا الموقف ، غذاه مما حفظه من شعر الحماسة عند العرب القدماء وهم أبطال الحرية في فيافيهم ، وكان شعرهم سجلاً صادقاً لمكارم أخلاقهم ، كل هذا أثر في البارودي بعد أن اطلع على دواوين الشعر العربي القديم وهو بعد غر صغير حيث رسخت هذه الصفات والخلال الحميدة في ذهنه ، وشب مطبوعاً عليها يتمثلها نماذج يحتذيها ويود أن يحققها عملاً في الحياة .

حقق شاعرنا في قصائده السياسية والوطنية حين انتقل بها من عالم الفردية الذاتية التي يعيش فيها إلى عالم أرحب وأوسع هو خدمة الوطن ، وتحول من معالجة محور الحياة الخاصة الذي يدور فيه إلى مجال النضال الوطني الكبير ، ثورة يريد أن تمتد من نفسه إلى أبناء شعبه فتساعدهم ليستأصلوا أسباب ذلهم وعلة ظلمهم

كان البارودي في شعره السياسي ناقداً اجتماعياً وثائراً وطنياً ومصلحاً صريحاً شديد الحرص على حرية أبناء بلده ناقداً لهوانهم وذلهم وتهاونهم في الرد على الظلم والسكوت عليه يقول: (حفظ 3 أبيات)

وكيف ترون الذل دار إقامة	وذلك فضل الله في الأرض واسع
أرى رؤوساً قد أينعت لحصادها	فأين - ولا أين السيوف القواطع ؟
فكونوا حصيذاً خامدين أو افزعوا	إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافع
أهبت فعاد الصوت لم يقض حاجة	أليّ ولباني الصدى وهو طائغ
فلم ادر أن الله صور قبلكم	تماثيل يخلق لهن مسامع

وكثيراً ما تغنى بمصر وجمالها وسحرها لاسيما في المنفى إذ ظلت تلك القصائد تؤكد مشاعره تجاه وطنه وأحبابه يقول :

فيا (مصر) مدّ الله ظلك وارثي	ثراك بسلسال من النيل دافق
ولا برحت تمتاز منك يد الصبا	أريجاً يداوي عرفه كل ناشق
فانت حمى قومي ومشعب أسرتي	وملعب أترابي ، ومجرى سوابقي
بلاد بها حل الشباب تمائمي	وناط نجاد المشرقي بعانقي

والبارودي يتجاوز تصوير المشاهد الحسية إلى تصوير المشاعر النفسية ، ولعل أكبر حالة نفسية صعبة عاشها شاعرنا هي غربته في جزيرة (سرنديب) في أثناء مرحلة نفيه إلى تلك الجزيرة ، اتسمت أشعاره في تلك الحقبة بالحسرة واللوعة واللهفة وتنوعت في تأثيرها - أي الغربة - على مشاعره ونفسيته تمخض ذلك عن أجمل القصائد التي يحن فيها إلى بلده مصر .

والحنين من الظواهر القديمة في الشعر العربي ، يبدو في مطالع القصائد مع وصف الأطلال وفي النسيب والغزل ، ولكن البارودي برّ أقرانه في هذا المضمار إذ ظل يتجرع غصص الغربة المريرة سبعة عشر عاماً وكان بارعاً في الوصف والتصوير ، أخذ يصور حسرته وجزعه وتارة يبدو ذلك في التغني بالوطن والديار أو في بكاء الشباب وأيام البهجة أو في بكاء الحبيبة - زوجته - التي انقطعت بينه وبينها الأسباب أو في وصف الغربة أو حنينه إلى فلذات كبده وتارة يتوجه إلى رثاء بعض أصدقائه وزوجته .

الهجاء

الهجاء نوعان : شخصي وهو ما تعارف عليه شعراء العربية ، واجتماعي يراد به التهم الذي يصور عيبا من عيوب المجتمع وذلك لغرض الإصلاح وقد يتمثل هذا العيب الاجتماعي في شخص من الأشخاص ، والدارس لشعر البارودي يجد نوعين من الهجاء : الشخصي والاجتماعي ، واكثر من الهجاء الاجتماعي لعله يسهم في إصلاح مجتمعه ، نجده يشكو الناس ونفاقهم وظلمهم وغدرهم ويصور قومه ويعدد عيوبهم ، كما يذم زمانه وينعى على معاصريه تلونهم وعدم وفائهم في صداقاتهم لاسيما وانهم خذلوه وأذوه لذا تميز هجاء البارودي بأنه هجاء لاذع وساخر إذ يصب هجاؤه على جماعة أو أفراد يضعهم في لوحة بارعة الأبعاد كثيرة الجزئيات تتفاعل فيما بينها لتنمو في إطار اللوحة العامة وهي اشد ما تكون قسوة وامتهاناً.

يقول : (حفظ 3 ابيات)

<u>أنا في زمان غادر ومعاصر</u>	<u>يتلونون تلون الحرباء</u>
<u>أعداء غيب ليس يسلم صاحب</u>	<u>منهم واخوة محضر ورخاء</u>
<u>أقبح بهم قوما بلوت إخاءهم</u>	<u>فبلوت أقبح ذمة و إخاء</u>
قد اصبحوا للدهر سبة ناقم	في كل مصدر محنة وبلاء
واشد ما يلقي الفتى في دهره	فقد الكرام وصحبة اللؤماء
شقي ابن آدم في الزمان بعقله	إن الفضيلة آفة العقلاء

ومن هجائه الشخصي قوله :

وغد تَكُونُ من لؤم ومن دنس
فما يغار على عرض ولا حسب
يلتذ بالطعن فيه والهجاء كما يلتذ بالحك والتظفير ذو الجرب يعد هذا الهجاء الاجتماعي جديداً في شعر البارودي ، فقد صور في هذا الشعر عصره والناس ملونا بشعره الخاص ، وحسبنا من الشاعر الحقيقي أن يصور ما يختلج في صدره من عواطف غير متكلفة ولا مصطنعة تقوم على المجاملات والنفاق الاجتماعي والمدح الكاذب

الرثاء

من ابرز الموضوعات التقليدية تأثيرا في شعر البارودي الرثاء فقد تابع شاعرنا القدماء في معانيهم التي لم تخرج عن التفعج على الميت والشكوى من الحياة ودم الزمان وبيان مناقب المرثي ويلحق بهذا شيء من الحكمة. وقد امتازت مرثي البارودي بصدق الإحساس ورقة العاطفة لذا فنه لم يرث صديقا أو قريبا إلا كان رثاؤه صادقا بعيدا عن شعر المناسبات ، ويبدو على شعره الحزن العميق بعد أن تسلم خبر وفاة زوجته وتعد هذه القصيدة من عيون الشعر العربي في رثاء الزوجات يقول: (حفظ 6 ابيات)

<u>أَيَّ المنون قدحت أي زناد</u>	<u>وأطرت أية شعلة بفؤادي</u>
<u>أوهنت عزمي وهو حملة فيلق</u>	<u>وحطمت عودي وهو رمح طراد</u>
لا ادري هل خطب ألم بساحتي	فأناخ ، أم سهم أصاب سوادي؟
أقذى العيون فأسبلت بمدامع	تجري على الخدين كالفرصاد
ما كنت احسبني أراع لحادث	حتى منيت به فأوهن آدي

أبليتني الحشرات حتى لم	يكد جسمي يلوح لأعين العوَاد
استنجد الزفرات وهي لوافح	وأسفه العبرات وهي بوادي
لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي	تقوى على رد الحبيب الغادي
يا دهر فيم فجعتني بحليلة	كانت خلاصة عدتي وعتادي
إن كنت لم ترحم ضناي لبعدها	أفلا رحمت من الأسى أولادي
أفردتهن فلم ينمن توجعا	قرحي العيون رواجف الأكباد
الْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ ، وَصُغْنَ مِنْ	دُرِّ الدَّمُوعِ قَلَائِدَ الأَجْيَادِ
يبكين من وله فراق حَفِيَّةٍ	كانتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الإِسْعَادِ
فَحَذُّوْهُنَّ مِنَ الدَّمُوعِ نَدِيَّةً	وَقَلُوبُهُنَّ مِنَ الهمومِ صَوَادِي
أسليلة القمرين ! أيُّ فجيعة	حَلَّتْ لِقَفْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادِ
أعزز على بآن أراك رهينة	في جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الأَسْدَادِ !

النص ضارب في التقليدية ولتراكييه ومفرداته ما يجعل المتعطر يقف منه موقف الأثر الأدبي

كشاهد على نهج البارودي في محاكاة الشعر القديم غرضاً وتركيباً ومفردة ومعنى . ولعل المناسبة تلعب دوراً في رسم ملامح العاطفة . ولعل حتى بسط معنى اللوعة والصور التي حملتها لم تخرج عن صور كررها شعراء العصر العباسي ونلمح أثراً ما للوعة ابن عباد .

أيدَ المنون قدحت أي زنادٍ وأطرت أي شعله بفؤادي

أي عظمة تنطوي عليها جوانحك الشاعر ، اذ ينادي الدهر نداءً يعترف بانتصاره عليه . أنداء المعاتب هنا أم نداء المستغيث يد المنون المبسوطة ترش سهامها وتقذح زنادها لتزيد من جراحات شاعرنا تقذف شعله على فؤاد محترق وهشيم تكمن نار الألم في أحشائه . لتأتي على ما بقي به من حياة . وهي تعلم يقينا أنها :

أوهنت عزمي وهو حمله فيلق وخطمت عودي وهو رُمح طرادٍ
توهن عزمه . وقوع فعل الوهن على العزيمة هو قوة العزم لتقبل النفس كل خطب . وتعطي دلالة على قوة الإيمان . التمرد على لحظات الضعف الإنساني خلقت الرد على شخص المنون الذي خاطبه الشاعر من خلال أداة النداء المحذوفة في أول البيت الأول هي اعتراف صريح بأن الخطب أقوى من قدرة تحمل الشاعر . وعزمه الذي يقف ندا بحجم فيلق من الجيش وحطم قائمة عزمه المنصوبة رمحا في ساحات الوغى . وهنا السؤال : هل سبب هذا الوهن العشق والضرر أم له بعد إنساني آخر ؟

الإجابة تجود بها الأبيات القادمة .

لم أدر هل خطب ألم بساحتي	فأنأخ ، أم سَهْمُ أَصَابَ سَوَادِي ؟
أَقْدَى الْعُيُونِ فَأَسْبَلْتُ بِمَدَامِعِ	تجرى على الخدين كالفرصادِ
ماكُنْتُ أَحْسَبُنِي أَرَاغَ لِحَادِثٍ	حتى مُنِيْتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِي
أبليتني الحشرات حتى لم يكد	جِسْمِي يَلُوحُ لَأَعْيُنِ الْعَوَادِ
أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ	وَأَسْفَهُ الْعَبْرَاتِ وَهِيَ بَوَادِي
لا لوعتي تدع الفؤاد، ولا يدي	تقوى على رد الحبيب الغادي

لاحظنا في البيتين السابقين أن الشاعر خاطب الدهر متوجعا دون ضعف بدهشة أن الحدث فوق صبره . حيث يستدرك ذلك في توجيه سؤالاً حائراً لنفسه عن نوعية هذا المصاب . فإن كان

خطب . فالخطوب هي كثيرة في حياته وقد جربها والخطوب يقار عها تنيخ بساحته وتزول . لكنه سهم أصاب مقتله . فجعله في حالة اتزان .

يتنامى هنا الصراع ما بين بسط النفس للاستسلام لإنسانيتها والتمرد عليها من خلال موروث الفروسية التي تنطوي عليها النفس فيقرر لنا أن هذا السهم بالنسبة لنفسه هو قذى أصاب عينه فأسبلت مدرار دموعها . لماذا هذا التعالي عن الاعتراف بحزنك ومصابك . فيجب بأنه كان يرى مثل هذه الأحداث قادرة على قهره حتى بلاه الدهر بها . ليجد خطأ ظنه ويقينه بأثرها على النفس . مما يستدعي بسطها ليخف عنها ألمها . لكن عزمه وشكيمته تأنف أن ترى عين الشفقة والعطف تحوطه . فهو يحاول أن يوطن نفسه لقبول الحدث وتحجيمه . ولقد وفق في تعبيره باتزان مما يدل على طبع الشاعر في شعره وصدقته في بسط مشاعره في بوتقة القلب التقليدي . هذا الصراع الجميل هو نكهة هذه القصيدة ولذلك جعله الصراع في غيبة عين الرقيب نهبا لتك الحشرات التي حبستها همته وأغلق عزمه عليها الأبواب . ولعل تلك الزفرات والعبرات لا تقي بحجم تكله . ليثور بقوة في وجه الدهر في استفهام إنكاري تعجبي :

يا دَهْرُ ، فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ ؟ كَأَنْتَ خَلَاصَةٌ عُذِّي وَعَتَّادِي

الحدث هنا فجعية . وكأنه يمسك بتلابيب الدهر ليعترف له عرف من أين يؤتى . فكل تلك الخطوب التي جندها الدهر في حربه لم تفت في عضده . فأناه من حيث لا يحتسب . فصوب إليه فجعية . والفجائع تختلف عن بعضها البعض . فهي لا تأتي متوقعة ولكنها تأتي بغتة . وكذا فجعية الموت . ولذلك تجاوزت عند الشاعر مخلفات الخطب . لأن أثرها لا يزول . أن الفجعية في الزوجة التي قد تترك فراغا عاطفيا عند الزوج فيدرك أثر ذلك فيعبر عنه . بفيض من خصال أغلبها يصب في تباريح الحب والصبابة وقد أخفى تماما هذا الجانب عند البارودي حيث عبر عنها بحليلة . والحليلة الحبيبة جديرة بموكب من تعداد الخصال الجمالية والمشاعر الوجدانية ليعرف الكل مدى تمكنها من قلبه . فاختصر علينا الشاعر البحث عن تفصيل صفاتها عندما وصفها بأنها عدة له وعتاد . ونقف هنا دهشة ! أنثاه حولها لترسنة تكتظ بالمعدات التي تمد بها المحارب . أهي كل هذا عنده . أين هي كأنثى . هذه دلالتها مناسبة لصهيل الخيول ووقع السيوف . لا تناسب مشاعر الحزن والتكل . فما المبرر لها ؟ وإنا لنجد لها مخرجا فالفراس لا تكون حليلته إلا على شاكلته . فمن تتحمل حياة محارب إلا من كانت بالفعل عدة وعتاد . عذيلة باشا تلك المرأة العظيمة تشكلت على يديها ملامح هذا الفارس في ساحات النضال وسلطان القلم هي وقود همته وقوة عزمه كفته هم الحياة وجعلت نصب عينه رسالته . منحه الحب والثقة والإيمان . سمت بنفسها عن الانصياع لغرائز الأنثى القاصرة من خلال قريناتها . لأنها أدركت الاختلاف بين رجلها ورجالهن وذلك الإدراك حولها لتكون بحق عدة له وعتاد تمده بالحماس والعزم إما أحست منه فتورا . فالتعبير هنا في منتهى الصدق والشفافية وقد وفق في هذا الوصف . وبه تميزت مرثيته عن كل مرثية عرفها الشعر العربي . ولعل البعض يرى أن البيت تقليد لهمة المتنبي وصورة من استفهامه للحمى :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام ؟

اتفقا في الهمة والعزيمة والقلب لكن دلالة المعاني عن العاطفة تختلف . استفهام البارودي بعيد وإن تكن الأبيات السابقة أرهصت لتشابهها بين قصيدته وقصيدة المتنبي . وبعد استفهامه التأثير تخف حدة الخطاب للدهر بشيء من الانكسار والاعتراف بأثر الفجعية عليه وذلك أمر لا مناص منه فالدهر لن يترضاه وإن أرغى وأزبد . فراح يستعطف الدهر بلغة حزينة وكأن الدهر قد ناصبه ندا فكسره فهو يعترف له بأنه كسره ندرك لهجة العتاب :

إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرَحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا أَفْلا رَجِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي

يخبر الدهر بتباريح ألم الفراق لبعدها بعدا زمانيا وليس مكانيا . البعد الذي كان يضنيه غربة روح وحنين إليها , هذا البعد كان مغيبا عنه لم يدرك لسعة لهبه إلا بموتها , وكان الدهر قطع عليه مدى صدقه في ذلك أو أن مكانتها السامية تمردت عليه أن يجعلها شريكة للنساء في رغبات الجسد فهي حليلة أم لولد هم أقدس رباط بينهما . فلا بد أن تكون رحمة الدهر بمن هم أحق ببقائها منه لأنها آمنت برسالتها العظيمة بأن تقيه حمل همومهم فينكس عن أمجاده . وذلك وفاء تقدمه الزوجة وهذا أوان الاعتراف بجميل وفائها .

أَفَرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَمْنَنَّ تَوَجُّعاً قَرَحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ ، وَصُغْنَ مِنْ دُرِّ الدُّمُوعِ قَلَانِدَ الْأَجْيَادِ
يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الْإِسْعَادِ
فَخَذُوهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةً وَقَلْبُهُنَّ مِنَ الْهَمُومِ صَوَادِي

هذا الوتر المؤثر الذي تحول إليه الشاعر لرسم لوحة أثر فجيئته كانت أبلغ فيما لو استمر في وصف أثرها على شعوره . فهناك من سيتمكن منهم الأسى طويلا لذلك فالرحمة بهم أولى بكثير من الرحمة به . ومن هم أنهن بنيات ما اعتدن الشقاء فهذا الرزء الذي حل بهن نثر عقدهن المنظوم (أفردتهن) إما بجمعهم على حزن لا يشاركهن فيه من حولهن فهن سجيناته مادم على قيد الحياة . وإما انفردت كل واحدة منهن بلوعة تختلف في تأثيرها النفسي عن لوعة أختها . فهذه تتجافى جنوبهن عن المضاجع من شدة ألم الوجد الذي شد على منامهن جيوشه فما استطعن رده . تقرحت تلك المآقي التي يغازلها الهناء بالحزن المبرح يدميها نصل الدموع التي لا عهد لهن به . تزلزل منه أكبادهن الغضة زلزالا شديدا . وبظرة لاستخدامه للفظ (أفردتهن) نجده قد أوحى لنا بمدى الوحشة لمن اعتاد الأُنس . فكانت دلالاته أقوى في رسم ملامح ذلك الحزن وما تتركه الوحدة من خوف وهلع ومتى يكون أشد على النفس . فالابن بحاجة الأم في كل حين ولكنه يكون أشد حاجة لأنسها ودفء أنفاسها حين يخلع الليل عليه عباءته . فشبح الخوف منه والحاجة فيه أقوى من أي وقت سواه . فامتناع النوم عن عيونهن مرهون بألم الأفراد لينفي الأرق أو السمر عنهن بكونه وجع لا تنتهي تباريح بهن . هذه الألفاظ التي ترى أنها تقليدية عبرت عن شعوره بدقة ليتوجها استخدام للفظ (الرجف) حيث رسم شدة أثر الفجيعة وهو قوي جدا في دلالة معناه يقع هذا الرجف على أكباد غضة . وتتنامى معزوفة الحزن تلون اللوحة بما يجعل لها أثرا إنسانيا لكل من قرأ القصيدة . فجيادهن المزينة بدر الجواهر التي تدل على ما كان فيه من سعادة وخلو بال ، أصبحت مسرحا لرقص عقود من دموع تجاوزت حدودها الطبيعية على صحن الخدود لتغرد كل جيد منهن بوافر من عقود . وجعله الدمع عقودا أبلغ تعبيراً وتأثيراً لأن العقد طوق يحلي الحيد واستبداله بعقد من آخر هو الدمع رسم بدلالاته بقاء الحزن عليهن أبديا . فيكون لبكاهن ما يبرره فجميعتهن لا تضاهيها فجيرة ! فالفقود حفية بهن مبالغة في رعايتهن . والحفي خلاف المحب . فكل ما يقدمه للمحتفى به هو إدراك منه لقيمته عنده فهي حفية بهن لكونهن بناتها وكونهن بنات من أحببت فاحتفاؤها بهن وفاء للعشير في حفظ الأمانة الملقاة على عاتقه ونحس هنا بما تحسه من ألم أيها الشاعر الموهوب . هذه الحفية كانت اليد الحانية تطرز لهن ثوب حياتهن بخيوط السعادة الزاهية فلم يشعرن بفجوة بعد الأب المناضل النائي عنهن في منفاه . فهول المصاب خاط لهن ثوب السواد . فكان لذرف دموعهن عواصف ورعود تزمجر في أكبادهن فتطر سحاب الأسى والحزن مطرا جارفا . سيله حمم تنصب جحيما على تلك الخدود الغضة الرطبة الناعمة . فهي ندية بغرقها في بحر الدموع وهي بما كانت عليه من نعومة ونداوة تغرقها أنهار السعادة والمرح . لقد رسم لنا استخدام لفظ (ندية) بعدا متضادا في باعث النداءة في الخد فالندي ناعم . يقول أحد الشعراء : قطرات النسيم تجرح خديه ... ولمس الحرير يدمي بنائه فكيف بسيل الدمع ؟! لقد كانت هذه الخدود ندية في باطنها يتدفق في شعيرات شريانها ماء الحياة فهي ندية الباطن جافة في ظاهرها . وهي ندية بدموعها ظاهرا لتجف عندما يتمكن الحزن منها فتتجدد وتبدو ندوب أثر الدمع فيها . ويعطف على صورة الخدود بنفس التركيب اللغوي مستخدما لفظ

(صوادي) فهي عطشى لزالال السعادة العذب الذي جفف نبعه الدهر ليبدلهن نهرا من أجاج الهموم كلما نهلنا منه زادهن عطشا .فالمدموع جعلت تلك الخدود في حنين لنظارة الحياة في كنف الأم . وتلك الهموم جعلت قلوبهن صوادي لعذب زلالها . فأى تكل بعد هذا الثكل وأي لوعة تضاهي هذه اللوعة . استطاع البارودي التعبير عن مشاعر الحزن في هذه اللوحة بعمق واسعفته لغته الرفيعة وألفاظه الفخمة الموحية وألوانه البلاغية في رسم مشهد إنساني بالغ التأثير على العاطفة لكل من لامس هذا الشعور . ونجح في تبرير استفهامه العنيف للدهر إذ فجعه في حليلته بما قدمه من أثر جسيم ، فكان تبريره مقنعا وصادقا في تأثيره العاطفي ومرضى لإشباع عاطفة لوعته وتضخيمه لماهية هذا الحدث الذي بقي محور حيرته في لوحته الأولى من بداية القصيدة حتى وصل بنا إلى قوله :يادهر فيم فجعتني بحليلةونحن نطارد معانيه علنا نلمس ذلك الحدث هز أركان عزمه وهمته .لنتحول معه لمشهد استسلام مشاعره لطبيعتها الإنسانية التى خلقها الله عليها .ليفيض نبع شعوره الإنساني في منتهى الصدق والتأثر .لتكون لوحته الثانية رسم يدلنا على مدى تأثير تلك الفجيعة عليه دون سواه . ويسعفه صدق عاطفته أن يخلع ما يحسه من حزن على عديلة باشا على شعور بناته . ليضيفي على هذه اللوحة حسا أكثر صدقا وإنسانية . فيتمه وانفراد مشاعره وانغلاقها عن غير عديلة خاضعة للتحول بعدما تخف تيارات الحزن عن نفسه فيجد بديلا يونس وحشة مشاعره بفقدما .فنجح في تأكيد صدق عاطفته حين خلع هذا الشعور على بناته . وكلنا يدرك أن عاطفة الحزن عند الأنثى أشد فهن أكثر تأثرا من الذكور وأقل صبرا في تحمل الأرزاء فكان مصيبا في اختياره لوسيط من أبرز سماته الضعف والحاجة والأقرب إلى البوح بالشكوة والانهيأ أمام الفجائع . فحاجتها للبكاء والجزع ملحمة لما يزيل عنها شبح الحزن وتبسط لواعجها معلنة حزنها الشديد .ولعل تلك المعاني التي لمسناها في اللوحة الثانية وحملها تراكيبه لرسم أثر المصاب على بناته هي أقوى الأدلة على شعوره هو وحزنه عليها .فلو بسطها بضمير الأنا لكانت النظرة إليها مختلفة ولعددها من المبالغة في الحزن ولخفت حدة تأثرنا بعاطفة النص . ولكنه بخلع تلك المشاعر على بنياته جنب عاطفة النص هذا الحكم وأجبر عواطفنا على مشاركته هذا الشعور الحزين من خلال وسائطه . ويتوج هذا التدفق الإنساني الصادق بهذين البيتين :

أسليلة القمرين ! أي فجيعة
أعزز على بأن أراك رهينة
حَلَّتْ لِفَقْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادِي
فِي جَوْفٍ أَغْبَرَ قَاتِمِ الْأَسْدَادِ !

خاتمة طبيعية ومقنعة ومكملة لجمع اللوحتين معا . فتعبيره لوصفها بسليلة القمرين يفي عن كل خصلة تأتي بعده وزادها باستخدامه أي . التي أعلقت كل وصف يأتي لقد وفق ببراعة لاستخدامه (أسليلة القمرين) ولذلك يعترف بقلة حيلته وإيمانه بحتمية الموت باعتذاره لها في البيت الأخير . لعلنا أرضينا الذائقة بما قدمنا من تحليل .للنص .وسنعقب عليه بوقفات مختارة لبعض الجوانب المتعلقة بالشكل وفيها تتجلي رؤية مختلفة عما عرض له البعض .ظلم الدارسون شعر البارودي كثيرا حيث انصبت تلك الدراسات على الشكل متجاهلة المضمون ملغية تجربة الشاعر . وصدرت أحكامهم على شعره أنه انتفاضة لبعث القصيدة من مرقدتها وبث الروح فيها ليتجاوز بها عصور الركاقة والضعف . فركزوا على جزالة ألفاظه وفخامتها وتمكنه من استخدام الألوان البلاغية . واستخدمه لاستقلالية أبيات القصيدة فهو صورة مكررة لعصر المتنبي وأبي فراس الحمداني فكان فيشعره وما يطرقه من معاني صورة لفروسية أبي فراس .ونحن عندما ننظر لهذا الشاعر من واقعه نجده بعيدا كل البعد عن معترك الحياة الأدبية وخوض غمارها .فهو شاعر مطبوع ساهمت ثقافته وموهبته وعشقه لشعر ابي فراس ان تكون قصائده مصاغة في هذا الشكل وتجاربه هي تجارب حقيقية ومضامين شعره صورة تعكس معانيه فهي جذيرة بالدراسة المتعمقة .وريادته للشعر كانت يرسمه نهجا للشعراء في عصره للسير على خطاه

من الألوان البلاغية الكثيرة في النص أسلوب الإنشاء. نلاحظه فيقوله:
لم أدري هل خطب ألم بساحتي ... فأناخ أم سهم أصاب فؤادي ؟

وعلى الرغم من أن اغلب مراثي البارودي لم تكن عميقة الأفكار ، لأنه لم يقف فيها على اسرار الحياة والموت ، كما فعل شعراؤنا القدامى ، الا أنها اتسمت بصدق التجربة الشعرية ، إذ كانت تنبع من قلب مكلوم ونفس معذبة أضنتها الوحدة ، فضلا عن صلته الحميمة بمن رثاهم لذلك خلت مراثيه من النفاق ، كما أن قد نظمت في المنفى مما زادها صدقا وحق لها واقعية التجربة ، إذ امتزجت احزانه بنفسه المعذبة القلقة التي كانت تعاني الم الغربة ، ومن هنا عد عمر الدسوقي هذه القصيدة (من عيون قصائد الرثاء)

الفخر

أما فخر البارودي فلم يتناوله لغرض تقليد الآخرين ، بل لدواعٍ تتعلق بشخصيته الطموحة ، وطبيعته القوية ، فضلا عن تأثره بشعراء الحماسة . وهذا ما دفع محمد حسين هيكل الى الحكم على شعر الفخر عند البارودي (بالاصالة). فلو أنعمنا النظر في أية قصيدة من قصائده في الفخر لوجدنا فيها معاني الإباء والشمم ، والاعتزاز بالنسب ، والتغني بالشجاعة والإشادة بالمواقف الصعبة التي تمثل طموحاته وتجاربه الحياتية يقول شاعرنا مفتخراً. (حفظ)

واني أمرو لا استكين لصولة	وان شد ساقى دون مسعاي قده
ابت لي حمل الضيم نفس أبيه	وقلب اذا سيم الأذى شب وقده
نماني الى العلياء فرع تأثلت	أرومته في المجد وافتر سعده
وحسب الفتى مجدا اذا طالب العلا	بما كان أوصاه ابوه وجده
أصد عن المرمى القريب ترفعا	واطلب امرا يعجز الطير بعده

الزهد

أما ما قاله البارودي في الزهد فهو قليل ولم نلمس فيه ما يدل على التجديد وإنما كان مقلدا لسابقه وتخلل هذا الشعر بعض المواعظ والحكم التي استمدتها من خلال تعامله مع الناس وتبدو على زهدياته لمسات من التشاؤم المنبعث من المصائب التي تعرض لها في حياته ومما دفع البارودي الى النظم في الزهد الحالة النفسية التي غلب فيها اليأس على أمره وهو وحيدا يعاني الفراق والنفي ، فضلا عن عاطفته الدينية التي أخذت تقوى وتنمو. إذ يقول : (حفظ)

بلىنا وسربال الزمان جديد	وهل لامرئ في العالمين خلود
مضى ادم من قبل وهو ابو	الورى وكل الذى من نسله سيبيد

الحنين

اتصف شعر الحنين بصدق الإحساس وحرارة العاطفة ودقة الوصف لا قد استمد مادة تجاربه فيه مما كان يعانيه ويكابه ، اذ يقول : (حفظ)

ردوا على الصبا من عصري الخالى	وهل يعود سواد اللمة البالى
ماض من العيش ما لاحت خمالة	في صفحة الفكر الا هاج بلبالى

الغزل

امتزج شعر الغزل عند البارودي بوصف الطبيعة والخمر (حفظ)

غلب الوجد عليه فبكى	وتولى الصبر عنه فشكا
وتمنى نظرة يشفى بها	علة الشوق فكانت مهلكا

خصائص و مميزات أسلوب البارودي

- 1- انتقاء الألفاظ الملائمة لمعانيه
 - 2- البعد عن الغرابة
 - 3- العاطفة الصادق
 - 4- الاعتماد على الصور الجزئية
 - 5- الزهد في المحسنات البديعية
 - 6 - موائمته بين الفاظه ومعانيه فهو يتخير الالفاظ المناسبة لمعانيه، فيرقق ويتلطف حين يقتضي المقام الرقة والتلطف كأن يتغزل او يعتب، ويجلجل لفظه ويشدد اسره حين ينشد في الحماسة والفخر والمديح .
- يعد البارودي باعث نهضة الشعر في العصر الحديث لأنه بثّ فيه الروح بعد أن خنقته عصور الانحطاط وأعادته إلى عزّه ووصله بعهد الفحول الكبار من الشعراء العباسيين .

الريادة الشعرية

تعني بعث الشعر العربي الى ما يصله بشعرنا القديم ، روعة اسلوب وجزالة لفظ وصحة تركيب وجزالة لغة والابتعاد عن الابتذال في الموضوعات الإسفاف في الافكار والضعف في المعاني. وتقف وراء ريادة البارودي للشعر مجموعة عناصر :

- 1- الثقافة التركية والفارسية
- 2- جنسه الشركسي الذي ظهر طابعه في شعره ومرنه على الاعتداد بالنفس والفخر بالنسب.
- 3- طبيعته الجادة التي اسلمته الى ارتياد الفروسية ليحقق بها طموحه الشخصي
- 4- مواهبة الخاصة من ذكاء وقدرات وإمكانات قلما توفرت لغيره.
- 5- للبيئة المصرية اثر في هذه الريادة لأنها كانت مصدرا لمادته وصورة الواقعية .